الفصل الأول

في تجليات مشكلة الثقافة ومسار التشكل

أزمة الثقافة: مظاهر وتجليات

لا يحتاج الأمر إلى كبير تحليل أو كثير تقليب نظر كي نقف على حقيقة مرة ، وهي أن مجتمعاتنا تعيش أزمة ثقافية خطيرة ، أزمة لا ترتبط بفقر في مجال القيم الثقافية الدينية والحضارية فحسب ، بل وحتى في القيم الكونية ، فنحن أمة تحمل في مرجعيتها وتاريخها الثقافي رصيدا هائلا من القيم ، كما أن هناك تخمة عندنا في الحديث عن القيم الكونية .

أزمة لا ترتبط بفقر في المعرفة والعلم والتعليم ـ وإن كانت الأمية وضعف شيوع المعرفة وعدم مواكبة تطور المعرفة الإنسانية وجه من أوجه مشكلاتنا الثقافية المركبة ، ولكنه ليس الوجه الأكبر والأخطر ـ بدليل أن أعطاب شخصيتنا الثقافية تجد لها صدى أو مصدرا كذلك في فئة عريضة من المثقفين والأكاديميين ، إن لم يكن هؤلاء الأكاديميون والمثقفون والنخب هم من أهم عوامل وأسباب مشكلتنا الثقافية .

ولكن الأمر يتعلق بأزمة ثقافية بالمعنى العميق لمفهوم الثقافة ، أي بأزمة سلوك جمعي ، وأزمة أسلوب عام مشترك في الاستجابات للمواقف التي تعرض لنا ، يتميز بشموليته واختراقه لمختلف فئات المجتمع ، ويزداد استعصاؤه يوما بعد يوم على الإصلاح ، ويعقد أكثر فأكثر مهام الإصلاح على الواجهات السياسية والاجتماعية والقانونية وغيرها .

قضية الإصلاح الثقافي اليوم لم تعد إذن أزمة معارف أو مناهج علمية أو أكاديمية أو حتى أزمة اختيارات سياسية أو اجتماعية ، وإنما أصبحت أزمة قيم وسلوك ، وأزمة نخبة قادرة على حمل هذه القيم وإعطاء القدوة من نفسها

كي تنسج على منوالها باقي الفئات الاجتماعية . فالنخبة اليوم أصبحت العائق الأكبر للنهضة ، لأنها تشكل من خلال سلوكها اليومي قدوة سلبية ترسل رسالات تنتج مزيدا من التعقيد في المشكلة الثقافية ، وتزيد من طبيعتها الإشكالية .

الأعطاب الثقافية التي تعاني منها شخصيتنا الجماعية مركبة ومتداخلة ، هي أعطاب فكرية ومنهجية ، وهي أعطاب وجدانية جماعية ، وهي أعطاب سلوكية جماعية .

ولمزيد من التوضيح والتقريب لخطورة الأزمة الثقافية ، وتسهيلا لما سيأتي من تعريف لمفهوم الثقافة نورد بعض هذه الأعطاب ، ومنها على سبيل المثال لا الحصر:

ـ نحن لا نحسن ولا نصبر على أن نأخذ دورنا في الطابور ، ونتهافت جميعا على باب الحافلة أو سيارة الأجرة ، أو على مكتب الموظف دفعة واحدة مما يعتبر سلوكا شاذا في المجتمعات الأوروبية . والأكثر من ذلك أن الواحد منا يعتبر تحايله على الطابور شطارة ، وانتظار الدور حاطا من قيمته الاجتماعية . والغريب أن نفس الشخص يجد نفسه ملزما بأن ينضبط لهذا السلوك المتحضر كلما انتقل من بيئتنا الثقافية العربية إلى بعض تلك البلاد .

ـ يصاب بعض الغربيين بالذهول وهم يرون الواحد منا يسير في بعض الشوارع الأوروبية دون أن يحترم ممر الراجلين ، وبالمقابل لا يكاد الواحد منا يثق وهو يمر من ممر الراجلين في بعض تلك العواصم أنه في أمان تام ، فهو يبقى حذرا من أن يدوسه أحد السائقين . هكذا تعودنا في بلادنا العربية ،

فسائق السيارة يعتبر أن الطريق له وحده ، وأن الراجلين مواطنون من درجة ثانية أو ثالثة . إن الذي يميزنا عن المواطنين الأوروبيين في هذه الحالة ، أن احترام قانون الطابور واحترام قانون السير قد تحول إلى ثقافة ، وأنه لا مجال للحد من حوادث السير بتشديد العقوبة على المخالفات ما لم نفكر بعد في تغيير الثقافة .

ـ عندنا تراجع كبير في الإحساس بالمسؤولية عن الشأن العام وتزايد الاتجاه نحو طلب السلامة الفردية ، واعتبار المصيبة إذا عمت هانت ، واللجوء عند مواجهة التحديات إلى الحلول السريعة وطلب الخلاص الفردي ولو كان ذلك على حساب القانون أو على حساب مصالح الآخرين وحقوقهم ، وهي حالات توجد بشكل أو بآخر في جميع المجتمعات ، لكنها حين تتحول إلى ظواهر واسعة الانتشار أو إلى أسلوب جماعي في الاستجابة ، فإنها تتحول إلى ظواهر مقلقة تعكس تحولات عميقة في منظومة القيم أي تتحول إلى ظاهرة ثقافية .

ـ إن ازدياد القابلية للحياة الاستهلاكية وضعف القدرة على مقاومة استهوائها (الحياة السهلة) والاستعداد من أجل ذلك إلى تقديم التنازلات المرتبطة بالكرامة الفردية ، بما قد يرتبط بذلك من ظواهر التملق والنفاق الاجتماعي ، والتقرب من أصحاب القرار السياسي والنفوذ المالي ، مما جعل ظواهر غريبة عن حياتنا الاجتماعية وقيمنا الثقافية تنتشر من قبيل استحلال المتاجرة في المحرمات كالمخدرات والأعراض ، واستحلال الغش والرشوة ، واعتبار الوساطة والوصولية شطارة ، والتعفف عن الحرام أو خرق القانون

بلادة هي مظاهر متعددة لأزمتنا الثقافية . وفي كل المجتمعات توجد حالات من هذا القبيل ، لكنها اليوم تكاد تتحول إلى أسلوب جماعي في الاستجابة ، ومن ثم فهي تعكس تحولات عميقة في منظومة القيم وتعبر ليس فقط عن مشكلة أخلاقية ، فالمشكلة الأخلاقية تتميز بطابعها الفردي الإرادي بل بأزمة ثقافية تتجاوز الطابع الفردي كي تتخذ بعدا جماعيا .

ـ إن استباحة الملك العام والاعتداء عليه وعدم الشعور بالمسؤولية عنه ، مما يعني تدهورا في الإحساس بالانتماء الجماعي والمسؤولية المشتركة عن الفضاء الذي يوجد خارج ملكنا الخاص ، مظهر آخر من مظاهر مشكلتنا الثقافية . والتعبير الأمثل على ذلك هو المفارقة التي نجدها في عناية المواطن المغربي بفضائه السكني الداخلي نظافة وجمالا ، واعتدائه على الملك العام إما بالحيازة والاستيلاء أحيانا أو بتعريض الطريق العام للأذى بدل إماطته عنه وهو ما يعتبر في الإسلام شعبة من شعب الإيمان ، إذ أن تنظيف البيت وغسله لا يكون إلا بتفريغ مياه الغسيل عبر الشرفات أو عبر البوابات وأحيانا قد يكون ذلك بإيذاء المارة أو الجيران .

واليوم مثلا يعاني المواطنون الذين يسكنون في بيوت تخضع لنظام الملكية المشتركة معاناة حقيقية في تدبير الفضاءات والمرافق المشتركة مثل المصاعد ومصابيح الدرج وتنظيفها ، وهي قضايا يومية بسيطة في ظاهرها ، ولكنها تعكس في جوهرها مشكلا ثقافيا عميقا عنوانه انهيار قيمة الملك العام وقيمة العيش المشترك وقيمة التعاضد والتعاون والتضامن .

ـ وارتباطا بقيمة الملك العام وعدم الشعور بالمسؤولية عن الفضاء العام ،

يكشف تدهور الذوق العام والإحساس الجمالي عن أزمة ثقافية له صلة بالقيم الجمالية . فإذا كانت الثقافة الإسلامية على العموم والثقافة المغربية على الخصوص قد عنيت عناية كبيرة بالجانب الجمالي كما تشهد على ذلك الفنون الأدبية المغربية والمآثر الحضارية والعمرانية ، فإن واقعنا يشهد تدهورا خطيرا في هذا المجال . نجد ذلك في ابتذال الذوق الفردي وانهيار الحس الجمالي سواء على مستوى الأزياء (قارن بين جمالية اللباس المغربي التقليدي وبين ما أصبح يلبس اليوم سواء من لباس تقليدي أو عصري) أو على مستوى الغناء أو الموسيقى أو الإنتاج الدرامي ، كما نجده على المستوى العمراني حيث غدت مدننا أكواما من الإسمنت المسلح والصناديق المصطفة والمبعثرة التي لا تثير في النفس سوى الاشمئزاز والكآبة والحسرة على ضياع فطرية وجمالية الفضاء العمراني كما كانت تمثله المدينة العربية الإسلامية القديمة .

ـ إن ظواهر الانتظارية وضعف المبادرة ومركزة الأعمال والإنجازات في دائرة الزعامات وانتظار المبادرات النازلة داخل الأحزاب والمنظمات وضعف فعالية الفرد وانتظار قوى خارج ذاته ، تعبير آخر عن أزمتنا الثقافية .

ومما يؤكد الطبيعة الثقافية لهذه السلوكات أنها عامة لا تستثني اتجاها فكريا أو إيديولوجيا ، وإن وكانت تأخذ صورا متعددة في الظاهر عند الإسلاميين أو الحداثيين أو العلمانيين أو القوميين ، فعند كل هذه الحركات والاتجاهات نجد ميلا إلى الانتظارية والمشيخة وإلقاء المسؤولية كاملة على القيادات ، والميل في تفسير عجزها في تغيير الواقع أو إصلاحه تفسيرا تآمريا وتحميل المسؤولية كاملة لعوامل خارج الذات أي إما للقوى الرجعية أو الامبريالية أو الصليبية

أو الصهيونية وهلم جرا .

ـ وهذه النزعة التبريرية عامة وليست خاصة بالعمل السياسي أو الجمعوي ، بل إنها تخترق حياتنا الاجتماعية على جميع المستويات . ويظهر ذلك بالخصوص في لغتنا اليومية التي تبدو مخترقة بالصياغات والتعبيرات التبريرية ، ففيها مثلا يتم اللجوء إلى تحميل اللوم إلى ما لا يحتمل من أشياء وجمادات ، حيث يقال للكأس إذا كسرناه قد انكسر الكأس ، مما يبين أن الأمر يتعلق بمعضلة ثقافية .

ـ إذا كان من علامة النضج الفكري إدراك حدود التقاطع بين الأفكار والأشخاص ، فإن الفكر الشخصاني أو فكر المشيخة وثقافة الزاوية ، يعجز عن تجريد الفكرة ليتداخلا تداخلا شديدا لصالح الشخص ، مما ينتج عنه فراغ خطير حين غياب «الشيخ» أو «الزعيم» أو «القائد» وتصبح النصرة عصبية للأشخاص أو ضدهم ، بدل أن تكون التزاما بالأفكار أو بنقيضها .

إن التعبير الأنسب عن هذه الظاهرة الثقافية التي تميز المشهد السياسي المغربي مثل غيره من المشاهد الأخرى هو المصطلح الذي استخدمه «واتربوري» في وصف الأحزاب المغربية أي: « جماعة الأتباع » ، حيث العلاقة بين الزعامات السياسية وبين المنتمين إلى الأحزاب السياسية هي أقرب ما تكون إلى علاقة الشيخ بالمريد . فالزعيم يبقى زعيما طول الحياة ، ومن ثم فوراء التنظيمات الحزبية ـ التي هي في الظاهر مؤسسات مرتبطة بالدولة الحديثة ـ يكمن نموذج ثقافي ثاوٍ هو نموذج «الزاوية » .

ـ إن آفة الانقسامية مظهر آخر من مظاهر مشكلتنا الثقافية حيث لا يزال الوضع السياسي والاجتماعي المغربي ينتج ظاهرة الاختلاف والتعدد السلبيين

مما يؤشر على أننا لسنا أمام ظاهرة التعددية أو الاختلاف التنوعي الذي هو ظاهرة حضارية راقية وإنما أمام ظاهرة ثقافية مرضية هي الانقسامية .

ومما يبرز الطابع الثقافي للانقسامية هي أنها قدر مشترك لم تسلم منه لا التيارات اليسارية ولا تيارات الصحوة الإسلامية أو . فالانقسامية قد أصبحت جزءا لا يتجزأ من الاستجابة الجماعية إزاء ظواهر الاختلاف الذي لا يحسم من خلال الآليات الديمقراطية بل من خلال انشطار الكيان التنظيمي الجمعوي أو الحزبي عن نفسه إلى ما لا نهاية .

وتعبر الانقسامية في سلوكنا الجماعي عن ضعف كبير في القابلية للعمل الجماعي ، وضعف تحمل الرأي المخالف ، وفشل التجارب الوحدوية والتصدعات المتوالية والانشقاقات المستمرة داخل الأحزاب والمنظمات الإسلامية ، والمقاومة التي تصادفها الآمال والتجارب الوحدوية ليس بسبب الزعامات والقيادات دائما ، وإنما بسبب قواعد تلك الجماعات والأحزاب في كثير من الأحيان .

وعموما فإن ظواهر مثل غياب المبادرة والانتظارية والخرافية والنزعة التبريرية وضعف الفاعلية ، والوساطة والاعتماد والانقسامية وضعف ثقافة التضامن ، والنزعة التفكيكية وضعف التفكير السنني وضعف الفكر العملي وضعف التخصص والإتقان ، والمشيخة والقابلية للاختراق والتطبيع وضعف ثقافة المقاومة وغير ذلك من الظواهر القابلة كي تعالج من زاوية ثقافية ، أي باعتبارها في جوانبها السلبية تقدم لنا نماذج للعوامل الكابحة للنهضة ، ظواهر تعبر عن أعطاب عميقة في شخصيتنا الجماعية .

إنها ظواهر لا تجد تفسيرها في الوضع السياسي أو الاقتصادي فحسب ، ولا في المستوى المعرفي ، إذ قد نجد من مشموليها نخبا من المثقفين ، كما لا يمكن تفسيرها فقط بغياب القوانين أو التشريعات ، حيث لا يجدي في معالجتها القانون وحده ، ولا بضعف الوازع الديني ، فقد نجد من ضحاياها ناسا متدينين ورعين ، بل قد يكون فهم الدين نفسه وتطبيق القانون عرضة للتحويل أو التحريف الثقافي ، ومن هنا خطورة المسألة الثقافية وطابعها المعقد .

بناء على ذلك كله ، يبدو أن وضع منهج أو نظرية ناظمة للإصلاح الثقافي وبرامج تنزيلية لها ضرورة ملحة للشروع في السير نحو إحداث النهضة الشاملة عبر بوابة الإصلاح الثقافي .

على أننا نود التنبيه أولا إلى أن إبرازنا لبعض مظاهر الخلل في البناء الثقافي للشخصية المغربية ، لا ينفي وجود جوانب إيجابية في ذلك البناء بعضها مرتبط بالجوانب الإيجابية في الميراث الثقافي ، وبعضها مرتبط بجهود إصلاحية معاصرة .

وينبغي أن يكون من عناصر نظرية الإصلاح إبراز تلك الجوانب واستثمارها والبناء عليها . لكننا نؤكد أن تلك الموروثات وتلك الجهود ، لم ترق بعد إلى أن تنتظم في مشروع متكامل للإصلاح الثقافي تواجه به مظاهر الخلل تلك التي تبدو أعمق وأخطر ، فضلا أنها لم تكن نتيجة سياسة ثقافية مندمجة وواضحة المعالم .

من جهة ثانية يتضح أن الأمر لا يتعلق هنا بسرد مكونات الواقع الثقافي واتجاهاته وتحليل الخصائص الثقافية لكل مكون أو اتجاه أو رصد عناصره ، رصدا

يعتمد معيار الانتماء السياسي أو الإيديولوجي ، فذلك خارج عن نطاق هذا البحث وأغراضه ، كما يتنافى مع التعريف الذي سنعتمده لمفهوم للثقافة ، إذ سيتضح أننا أخذنا بالتعريف الذي ينظر إليها باعتبارها تمثل الاستجابة المشتركة أو الشخصية الجماعية المشتركة فينا .

وسيتضح أنه يمكن الرجوع ببعض هذه الأعطاب إلى عوامل ثقافية تاريخية منحدرة إلينا من رواسب عصور الانحطاط ، وأخرى من بقايا آثار الغزو الثقافي الفرنسي وثالثة من أثار العولمة الاقتصادية والسياسية والثقافية ، ورابعة من آثار السياسات الثقافية أو بالأحرى من آثار السياسات غير الثقافية التي طبقت في المغرب المستقل .

*****

في مسار التشكل وانفصام نظام المعرفة ونظام الثقافة في المجتمع الإسلامي

يثبت تاريخ الرسالات السماوية وتاريخ الأمم الذين بعث فيهم رسل وأنبياء حقيقة تفاوت التفاعل الإنساني والتشبع الاجتماعي بالقيم التي جاء بها الوحي ونزلت بها الكتب السماوية ، وتفاوت قابليات الأفراد والأمم للاستجابة لها وصياغة سلوكها وحياتها ونظام ثقافتها واجتماعها منذ نوح عليه السلام إلى سيدنا محمد ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين .

يحدثنا القرآن الكريم في كثير من سوره عن إرسال الرسل تترى ، كلما جاء أمة رسول كذبه فريق منهم ، وآمن به فريق ، وربما كذبت به الأغلبية ولم يؤمن به إلا القليل ، وربما بعث النبي وليس معه إلا الرجل والرجلان من الذين استجابوا له . وفي ذلك القليل الذي آمن تتفاوت الاستجابة لقيم الوحي من الجيل الأول الذي كان على صلة قريبة بالنبوة والرسالة إلى الأجيال الأكثر بعدا . ففي الحديث الصحيح عن بن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**ما من نبي بعثه الله في أمة قبلي إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته ويقتدون بأمره ثم إنها تخلف من بعدهم خلوف يقولون مالا يفعلون ويفعلون مالا يؤمرون فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل** » [(١)].

(١) رواه مسلم.

فالأجيال القريبة العهد بالنبوة تكون أكثر تمثلا وارتواء ، بينما تضطلع الأجيال اللاحقة مباشرة بالجيل الأول بوظيفة الاحتفاظ والمحافظة على الميراث والتوصيل للأجيال اللاحقة ، ثم تكون هناك أجيال لا هي ترتوي منه ولا هي تحافظ عليه وتنقله إلى غيرها .

ففي الحديث الصحيح: « **إن مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل غيث أصاب أرضا ، فكانت منها طائفة قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير ، وكان منها أجاذب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس ، فشربوا منها وسقوا وزرعوا ، وأصاب طائفة منها أخرى إنما هي قيعان لا تمسك ماء ، ولا تنبت كلأ ، فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به فعلم وعلم ، ومثل من لم يرفع بذلك رأسا ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به** » [١] .

يقول الأستاذ مالك بن نبي رحمه الله معلقا على هذا الحديث: «وكان النبي ﷺ أراد من هذا التدرج ذي الدرجات الثلاث أن يرمز إلى عصور يمر بها المجتمع ، يبدأ تاريخه بمرحلة يحدث فيها تقبل الأفكار وإبداعها وتمثلها ، تليها مرحلة تبلغ فيها الأفكار إلى مجتمعات أخرى ، ثم تعقب ذلك مرحلة يتجمد فيها عالم الأفكار فيصبح ليست له أدنى فاعلية اجتماعية » [٢] .

إن المرحلة التي تكون فيها للأفكار فاعلية اجتماعية هي المرحلة التي يكون فيها نظام القيم المعرفية صانعا وموجها لنظام القيم الثقافية والسلوكية والاجتماعية، فنظام الأفكار في هذه المرحلة لا يصوغ القيم النظرية والمعرفية فحسب ، بل يصوغ الوجدان والسلوك والعلاقات الاجتماعية .

---

(١) متفق عليه.

(٢) مالك بني ـ مشكلة الثقافة ص ٤٩ دار الفكر دمشق ط ٤، ١٩٨٤.

ويمكن القول إن العلاقة بين نظام القيم المعرفية (في هذه الحالة الحقائق التي جاء بها الوحي) ونظام القيم الثقافية السلوكية في الصدر الأول كانت علاقة صياغة . وبالابتعاد التدريجي عن ذلك العصر ، ضعفت نسبيا وتدريجيا تلك القدرة على الصياغة من جهة نظام القيم المعرفية في اتجاه نظام القيم الثقافية ، إذ دخلت على الخط أنظمة معرفية أخرى من جهة ، ومن جهة ثانية انبعثت قيم ثقافية سابقة على مرحلة النبوة ، وأصبحت تشاغب على عملية الصيغة القرآنية لنظام الثقافة ، بل أصبحت نصوص القرآن والسنة تقرأ وتؤول انطلاقا من نظام الثقافة ، إلى درجة كادت فيها قيم الوحي أن تفقد فاعليتها الاجتماعية .

ويمكن القول إن سر ذلك التحول الذي أحدثه القرآن الكريم والسنة النبوية في المجتمع الإسلامي الأول وفي الإنسان العربي يوجد في الفاعلية الاجتماعية لنظام القيم المعرفية ، أي في تحول نظام المعرفة إلى نظام للثقافة والسلوك ، وفي تلك الفاعلية يمكن أن نفهم أصالة أي حركة إصلاحية ، إن الأنظمة الثقافية السابقة التي تكون قد تبلورت عبر فترات طويلة وترسبت في العقل الباطن للأمة وصاغت الوجدان الجماعي لها ، تمتاز بصلابة ومناعة قوية ضد عوامل التغيير ، وذلك ما تشهد به المسافة الزمنية التي تفصل الثورات الفكرية والمعرفية عن آثارها الاجتماعية ، أي التغييرات التي تحدثها في نظام الثقافة ، فكثير هم شهداء الفكر والمعرفة الذين تنكرت لهم مجتمعاتهم حين لم تستطع أن تتفاعل مع القيم الجديدة التي بشروا بها وكان عليهم انتظار مرور أجيال طويلة ليعودوا إلى قائمة المجددين والمصلحين ، بعدما كانوا محسوبين لفترات طويلة في قوائم «الزندقة» أو «المروق» أو «الهرطقة» و«الجنون» .

إن التاريخ يشهد أن الحركات والدعوات التي كتب لها النجاح واستطاعت أن تترك بصمات خالدة في صفحات التاريخ ، هي الحركات التي استطاعت نقل الأفكار التي بشرت بها من مجال العقل والمعرفة إلى مجال الثقافة ، أي من مستوى التمثل النظري والاقتناع العقلي والتبني المعرفي إلى مستوى التمثل السلوكي والتشرب الوجداني والتشبع العاطفي . وكانت أنجح الدعوات في هذا المجال هي دعوات الأنبياء . وبخاصة دعوة خاتم النبيئين والمرسلين محمد ﷺ ، فكانت أعظم تجربة عرفها التاريخ هي تجربة الجيل الأول من المسلمين ، وتكمن تلك العظمة في إخراج أمة بين دفتي كتاب ، وذلك يعني انتقال المبادئ والقيم التي نادى بها الإسلام إلى إنجازات اجتماعية رائعة ونماذج بشرية عالية .

أمثلة من تلك النقلة ونماذج من ذلك التحقق

لقد بلغ التطابق المذكور بين المبدأ والشخص ، بين النظرية والواقع ، بين المثال والتحقق ، أقصى مداه في شخصية رسول الله ﷺ حتى إنه كان قرآنا يمشي ، وذلك ما عبرت عنه سيدتنا عائشة رضي الله عنها حين سئلت عن خلقه فقالت: «**كان خلقه القرآن**» .

وإن المتتبع لسيرته ﷺ والدارس لها يستطيع أن يقف على جوانب العظمة من شخصيته ﷺ . ولذلك جعل التأسي به علامة على الإيمان: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾ .

[الأحزاب]

وهناك شهادات متعددة من الصحابة رضوان الله عليهم عبرت عن عظمة تلك النقلة التي حدثت في حياتهم وكبر حجم تلك الصياغة وعمق مداها ،

نذكر منها في هذا السياق مثالين:

- فهذا جعفر بن أبي طالب لما أرسلت قريش في طلب المهاجرين إلى الحبشة وسأله النجاشي: «ما هذا الدين الذي قد فارقتم فيه قومكم ولم تدخلوا به في ديني ولا في دين أحد من الملل» يجيب، مبينا بعض معالم تلك النقلة، قائلا: «أيها الملك كنا قوما أهل جاهلية، نعبد الأصنام، نأكل الميتة، ونأتي الفواحش ونقطع الأرحام، ونسيء الجوار، ويأكل منا القوي الضعيف، فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولا منا نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه، فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان، وأمرنا بصدق الحديث وأداء الأمانة وصلة الرحم ونهانا عن الفواحش، فصدقنا به واتبعناه على ماجاء به من الله، فعدا علينا قومنا فعذبونا وفتنونا عن ديننا ليردونا إلى عبادة الأوثان، فلما قهرونا وظلمونا وضيقوا علينا، خرجنا إلى بلادك واخترناك على من سواك ورغبنا في جوارك ورجونا أن لانظلم عندك»[1].

- وهذا عمر بن الخطاب ﷺ يشير إلى التغيير العميق الذي أحدثه الإسلام في نظرة المسلمين للنساء وتغيير سلوكهم اتجاههن، فعن عمر بن الخطاب ﷺ قال: «والله إنا كنا في الجاهلية ما نعد للنساء أمرا حتى أنزل الله فيهن ما أنزل وقسم لهن ما قسم، قال: فبينما أنا في أمر أتأمّره إذ قالت امرأتي: لو صنعت كذا وكذا فقلت: ما لك وما لما هاهنا، فيما تكلفك في أمر أريده؟ فقالت: عجبا لك يا ابن الخطاب ما تريد أن تراجع أنت وإن ابنتك لتراجع رسول الله ﷺ حتى

(١) سيرة ابن هشام ١/ ٣٣٠.

يظل يومه غضبان»[١].

والأمثلة كثيرة لا مجال للاسترسال في ذكرها.

حدود صياغة نظام المعرفة لنظام الثقافة في المجتمع الإسلامي: الانفصال النسبي بين نظام الثقافة ونظام المعرفة.

إذا كنا نسجل تلك الظاهرة التاريخية الفريدة أي فاعلية الفكرة الإسلامية على عهد النبوة والمجتمع الإسلامي في صياغة نظام الثقافة والقيم السلوكية، فماهي حدود تلك الصياغة؟ هل ينفي ذلك أن المجتمع الإسلامي قد ظل يصطحب معه بعض الموروثات الثقافية والقيمية من العصور السابقة؟ ألم يكن المجتمع الإسلامي الأول يحمل معه بعض القابليات لاختراق قيمي سواء على المستوى المعرفي أو السلوكي؟

إن الاجابة على هذه الأسئلة تقتضي منا الإشارة إلى ملاحظتين:

- **الملاحظة الأولى**: أن النبي ﷺ ما فتئ يحذر من هذه القطيعة بين القيم القرآنية وبين واقع المسلمين أو من هذه الظاهرة الخطيرة التي هي فقدان الأفكار والقيم المعرفية لفاعليتها الاجتماعية، وذلك ما سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم بذهاب العلم، فذهاب العلم لايقصد به فقر القيم المعرفية، ولكن غياب الفاعلية في تلك القيم، ففي تفسير ابن كثير لقوله تعالى: ﴿لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [المائدة]. قال: «ذكر النبي شيئا فقال: **وذاك عند ذهاب العلم**، فقلنا يا رسول الله، وكيف يذهب العلم ونحن قرأنا القرآن ونقرؤه أبناءنا وأبناؤنا يقرؤونه أبناءهم؟ قال: **ثكلتك**

(١) متفق عليه.

أمك يا ابن لبيد . إن كنت لأظنك أفقه رجل بالمدينة أو ليس اليهود والنصارى يقرؤون التوراة والإنجيل لا ينتفعون مما فيهما بشيء» .

إن النبي ﷺ يتنبأ هنا بمرحلة تقل فيها فاعلية الفكرة الدينية ويقل انتفاع المسلمين بالقرآن والسنة ، مع حضور هذين الأخيرين بين ظهرانيهم ، وهو نفس المعنى الذي أشار إليه تشبيه الرسول ﷺ للعلم بالغيث والمطر واختلاف درجة انتفاع الأراضي به .

- **الملاحظة الثانية**: تتعلق بعمومية الرسالة وشموليتها وصلاحيتها لكل زمان ومكان ، فتلك الصلاحية المطلقة معناها أن الوحي سيظل على مر التاريخ خزانا هائلا لا ينضب من القيم والتوجيهات والمعارف ، وأن كل عصر يأخذ منه بحسب اجتهاده وبحسب ما يطيقه ويسمح به التطور الاجتماعي . من هذا المنطلق نتصور أن الصحابة رضوان الله عليهم لم يستنفدوا كل قيم الإسلام ومثله وإنما أخذوا منه أقصى ما كان يطيقه عصرهم ، وليس ذلك بقادح في خيريتهم ، ولذلك نتصور أيضا أن صياغة نظام المعرفة القرآنية لنظام الثقافة لا يعني الصياغة الكاملة أو النهائية ، بل بقيت هناك ممكنات تغييرية لم يكن العصر يسمح باستثمارها والتفاعل معها .

ثم إن القيم المعرفية في القرآن الكريم لا تعطي نفسها فقط من خلال التعامل اللغوي أو التفسير البياني .

إن هذا الأخير على أهميته لا يفي بكل معاني القرآن وليس قادرا لوحده على التقاط الإشارات القرآنية ، وذلك ما نلاحظه في تفاسير القدامى لكثير من الآيات ذات العلاقة بالظواهر الكونية ، فقد استعان القدامى في ذلك بالمعطيات

المعرفية و«العلمية» و«الثقافية» التي كانت سائدة في عصرهم وهي معطيات تجاوز العلم الطبيعي والاجتماعي الحديث كثيرا منها من خلال ما كشفه من سنن الله في الأنفس والآفاق ، وذلك يعني أن قراءتنا لنظام المعرفة القرآنية قد يتأثر بأنظمة معرفية وثقافية أخرى (مثال: الروايات الإسرائيلية ، أو التفسير الإشاري ، أو التفسير العقلاني ، وما يسمى اليوم «بالقراءات الجديدة» . .) .

ومن ثم يكون علينا أن نقوم بعملية مراجعة مستمرة وتصفية دائمة للتفسير من آثار المسبقات الثقافية والأنظمة المعرفية الأخرى ، وما ذلك إلا لأن قسطا من معاني القرآن ما يزال يتكشف في كل عصر بتقدم العلوم الكونية والاجتماعية ، والإدراك المطرد لآيات الله في الأنفس وفي الآفاق ، وهي الآيات التي ستقربنا أكثر فأكثر من الحقائق القرآنية ، مصداقا لقوله تعالى: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾ [فصلت:٥٣] .

والوقوف عند المعاني المتجددة للقرآن الكريم بالاستناد إلى ما يتكشف من آيات الله في الأنفس والآفاق هو المعنى الأصلي للتأويل ، كما ذهب إلى ذلك ابن تيمية أي ما يؤول إليه الأمر في الواقع وفي نفس الأمر .

لقد آل الأمر في الواقع ، من خلال النتائج التي كشف عنها البحث العلمي ، إلى إثبات كروية الأرض مثلا ، بينما كانت التفاسير القديمة قد ذهبت مذاهب شتى في تفسير بعض الآيات ذات العلاقة بالموضوع ، واليوم بعد أن تحولت كروية الأرض إلى حقيقة قطعية ، أصبحنا أكثر قدرة على التقاط المعنى الذي أشارة إليه بعض الآيات ، مثل قوله تعالى: ﴿ يُكَوِّرُ ٱلَّيْلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيْلِ ﴾ [الزمر:٥] . وقوله تعالى: ﴿ فَلَآ أُقْسِمُ بِرَبِّ ٱلْمَشَٰرِقِ وَٱلْمَغَٰرِبِ ﴾ [المعارج:٤٠] .

فلم يعد هناك مكان لتضارب التفاسير ، وأصبحت التفاسير التي تتعارض مع هذه الحقيقة القطعية مجرد تراث تفسيري يكشف عن ثقافة العصر التي أنتجته ، أكثر مما يكشف عن المراد القرآني .

وإذا كان انكشاف آيات الله في الآفاق يساعد على الكشف عن معاني القرآن ذات الصلة بالحقائق الكونية ، فإن انكشاف آيات الله في الأنفس والمجتمعات كفيل بأن يجعلنا ننتبه إلى بعض القيم التي لم تأخذ حظها الكافي من الحضور والتأثير والتوجيه في واقع المسلمين ، باستثناء تلك الحقبة الذهبية المتمثلة في عصر الخلفاء الراشدين على تفاوت بين مراحل حكم كل واحد منهم . إن الأوضاع الثقافية والاجتماعية والحضارية والتحولات السياسية التي عرفها المجتمع الإسلامي بعد فترة وجيزة من تلك الحقبة الذهبية لم تسمح بتفاعل كامل مع بعض القيم التي جاء بها الإسلام ، ولنأخذ مثالا على ذلك قيمة « تحرير المرأة» [١] .

فإذا كانت تجربة الأجيال الأولى قد ارتفعت إلى مستوى رفيع من التعامل مع المرأة ، فإن الأمر سرعان ما سيتحول إلى صورة مخالفة تبتعد تدريجيا عن النماذج التي جاء بها الإسلام وتقترب تدريجيا من الثقافة السائدة أو الثقافة المخترقة . إننا في قضية التعامل مع المرأة – ومع غيرها من القضايا – نجد أنفسنا أمام ظاهرة يسميها خالص جلبي «وضع الاستعمال» للنصوص ، وذلك حين يقول: «فالنص يبقى صحيحا من ناحية متنه ، ويمسخ من ناحية استعماله ، وبذلك نرى المشكلة بحجم خطير ، أعني ترابط نظام الأفكار من خلال يوميات الحياة التي

(١) تستخدم هنا تحرير المرأة الذي استخدمه الأستاذ عبد الحليم أبو شقة في كتابه: «تحرير المرأة في عصر الرسالة» .

تشكل الثقافة»[١].

ويسميها أيضا «الامتصاص الخاص للثقافة» تحت ضوء وعي انتقائي جعل مجموعة من النصوص تضغط على الواقع وتشكله بقالبها.

انطلاقا من ظاهرة الامتصاص الثقافي، يتم توجيه فهم النصوص وتصبح العلاقة مقلوبة بين نظام المعرفة القرآنية ونظام الثقافة، بحيث لا تصبح العلاقة علاقة صياغة من الأول للثاني، وإنما علاقة تأويل من الثاني للأول، ومن بين الأمثلة على ذلك في مجال قضية المرأة كيف قررت بعض المذاهب الفقهية أن صوت المرأة «عورة» في حين أن الله تعالى يقول للنساء: ﴿وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٣٢﴾﴾ [الأحزاب]. وكيف أصبح ينظر للحجاب على أنه احتجاب تام للمرأة ومنع لها من المشاركة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، في حين أن مجرد أمرها باللباس الشرعي هو إذن لها بالخروج لحاجاتها. ومن بين الأمثلة أيضا استنتاج بعض التفاسير التراثية من قوله تعالى: ﴿وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنثَىٰ﴾ [آل عمران:٣٦]، لتصورات تقر بدونية المرأة، حيث اجتهدت تلك التفاسير في حشد الأدلة على هذا المعنى مثلما فعل القاسمي الذي أكد أن أفضلية الرجل على المرأة لعدة وجوه منها: الحيض وسائر عوارض النسوان، وأنه لا يلحقه العيب في الخدمة والاختلاط بالناس، وأنه لاتلحقه تهمة عند الاختلاط ومثلما ذكره الشافعية الذين استدلوا بالآية على عدم مساواة الرجل والمرأة في الكفارة عند مطاوعة المرأة لزوجها في رمضان، فكان عدم التساوي موجبا للتخفيف على المرأة.

(١) خالص جلبي، في النقد الذاتي ص: ١٩٠.

والواقع أن المتأمل في السياق الذي وردت فيه الآية يدل على أنه سياق تكريم وتفضيل ، حيث ورد في سورة آل عمران ﴿ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ ۖ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾ ﴾ [آل عمران] ، فسياق الآية ليس سياق تفضيل للذكر على الأنثى بل هو سياق تكريم هذه الأنثى وبيان فضلها وما كان يظهر بين يديها من كرامات إلهية ، وهو ما دفع بعض المفسرين إلى تفسير قوله تعالى: ﴿ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ ۖ ﴾ بأنه ليس الأنثى التي وضعت كالذكر الذي تمنت ، بل كانت أفضل منه .

*****

في المسار التاريخي
للانفصام التدريجي بين النظامين

سبقت الإشارة إلى أن القرآن والسنة قد استطاعا صياغة الإنسان العربي صياغة جديدة وبناء نظام ثقافي جديد ، دون أن يعني ذلك الاندحار التام لأشكال من المقاومة من لدن نظام الثقافة السابق وهذا يقودنا إلى تقرير علاقة التداخل بين الأنظمة الثقافية ، من جهة ، وإمكانية تساكن بعض عناصرها ومقوماتها كما يقودنا ، من جهة ثانية ، إلى تقرير علاقة التفاعل الجدلي أي التأثير والتأثر بين نظام المعرفة ونظام الثقافة .

وهكذا على المستوى التاريخي ، يمكن القول إن : المشكلة السياسية التي عرفها المجتمع الإسلامي ، كانت تعبيرا عن انبعاث بعض القيم الثقافية التي تتنافى مع النظام الثقافي العام الذي أرساه الإسلام ، وهي المشكلة التي ستكون لها انعكاساتها على نظام المعرفة القرآنية ، حيث سيشهد هذا النظام في تفكير المسلمين بداية تصدع . تلك المشكلة ستقود إلى بداية تحول في التعامل مع حقائق العقيدة ، بظهور الجدل في العقائد وما ترتب عن ذلك من فرق واتجاهات لكل منها تصوره النظري حول مفهوم الايمان ، ثم ظهور بذور التفكير الجبري والبواكير الأولى للحركات الاعتزالية للمجتمع والجانحة نحو طلب الطهر والسلامة الفرديين ، فضلا عن التفكير الارجائي التبريري أو موقف الانسحاب السياسي . غير أن تلك الشقوق والتصدعات التي أصابت النسق المعرفي الإسلامي ، وهو في بدايته ، لم تؤثر على الحركة العامة للفكر

الذي استمر رغم ذلك في وتيرة تصاعدية ، كما أنه لم يصب إصابة عميقة أو قاتلة نظام الثقافة ، وإن كان قد زرع عوامل سلبية و« جراثيم» فكرية وثقافية بقيت في حالة كمون ، وكانت تطفو من حين لآخر ، كلما ضعفت مناعة «الجسد الإسلامي» .

وهكذا بقيت الإنتاجات المعرفية في مجال الكلام والفلسفة ، إضافة إلى حركات الزهد والتصوف ، ظواهر «نخبوية» وشأنا مرتبطا بـ« الخاصة» وكان الأمر محتاجا لتراكمات تاريخية وتصدعات متتالية ، إن على الصعيد المعرفي أو الاجتماعي أو السياسي أو العسكري ، قبل أن يمس الخلل نظام الثقافة والسلوك الاجتماعي بصورة أخرى ، فإن انتقال تلك الاختلالات من نظام للمعرفة والفكر إلى نظام للثقافة يؤطر السلوك الاجتماعي العام كان يحتاج إلى تضافر شروط تاريخية واجتماعية وحضارية ، هي الشروط التي أدت إلى تفكك الدولة الاسلامية عامة ، وأذنت بالدخول في العد العكسي للحضارة الإسلامية في إطار ما يسمى بعصر الانحطاط .

إن ظواهر مثل استقالة العقل وتعطيل حركته ، من خلال إغلاق باب الاجتهاد ، والعقلية النصية الحرفية ، والتراثية الفكرية والقول بالوساطة الروحية والفكرية من خلال تضخم دور المشيخة الصوفية ، والإرجاء والجبرية والاتجاه في المجال العلمي ومناهج التربية إلى التركيز على تنمية وظائف الحفظ والاستقبال على حساب وظائف التفكير والنقد وتحريم الاشتغال بالعلوم العقلية ، إن كل هذه الظواهر وغيرها تشير إلى حجم التصدعات التي أصابت نظام المعرفة في العالم الإسلامي وابتعاده تدريجيا عن

النظام المعرفي الذي جاء به القرآن والسنة .

غير أن هذه المظاهر التي ظهرت كأشكال من الخلل المنهجي والمعرفي في حقول متعددة ستكتسي خطورتها بانتقالها من انتاجات فكرية نخبوية إلى مسبقات وقيم ضمنية تصوغ ثقافة المجتمع بأسره وتطبع بطابعها السلوك الاجتماعي .

إن هذا التحول التاريخي ، أي العطالة التامة للنظام المعرفي وتوقفه عن الفاعلية ، بل تحوله إلى عنصر سلبي يغذي الجمود والتقليد والتبعية والغثائية قد عبر عن نفسه من خلال شخصيات من حجم كبير كان بمقدورها أن تركب بين علوم عصرها وتناقضات النسق المعرفي الإسلامي (آنذاك) بشكل يجعل لإنتاجها من التأثير في نفوس العامة شيئا شبيها بتأثير القرآن الكريم عند نزوله لأول مرة ، وذلك هو الدور الذي اضطلع به رجل مثل أبي حامد الغزالي وكتابه الإحياء . ولقد وصف هذا الكتاب بأوصاف رفعته إلى مرتبة كاد يصل بها عند بعض المعجبين به والمناصرين له إلى القرآن الكريم ، حيث قالوا: « كاد الإحياء أن يكون قرآنا» .

إننا نحسب ونفترض أن أبا حامد الغزالي يرمز إلى تلك الظاهرة التاريخية الحضارية التي تصلح أن تكون مؤشرا عن الآليات التي انقلبت بواسطتها العلاقة الأصلية بين نظام المعرفة ونظام الثقافة في العالم الإسلامي آنذاك ، ونموذج لكيفية صياغة نظام المعرفة لنظام الثقافة ، ولكن في هذه الحالة في الاتجاه السلبي .

ونحن نفترض أن «الظاهرة الغزالية» بما ترمز إليه من قيم ثقافية ما تزال

تمارس تأثيرها في المستوى العميق من الشخصية الإسلامية ، أي في طبقة «العقل الباطن» وعلى مستوى « اللاشعور المعرفي» ، كما نستطيع افتراض وجود بنية لا واعية ما تزال تمارس تأثيرها في تفكير وسلوك الإنسان المسلم ، وما تزال تشكل مقاومة قوية تمنع نظام المعرفة القرآنية أن يحدث نفس الأثر الذي أحدثه عند الجيل الأول من المسلمين . وما لم يتعرض ذلك من اللاشعور إلى التفكيك وإلى التصعيد إلى طبقة الوعي ، وما لم يتعرض نظام الثقافة بدوره إلى عملية نقدية وإعادة مراجعة ، فإن ظاهرة قراءة النص القرآني من خلال المسبقات الثقافية والتاريخية ستبقى عائقا في وجه الصياغة القرآنية لنظامنا الثقافي والسلوكي ، كما أن قراءة الجوانب الإيجابية في الحداثة المعاصرة ، ستبقى هي الأخرى خاضعة لنفس المسبقات ، إذ لا يكفي التشدق بالانتساب لـ«الحداثة» كي ينتج صاحبها ثقافة تحديثية أو تنويرية ، فمكر الثقافة لا يعبأ بالخطابات أو الشعارات .

ونحن نفترض أيضا أن تفسير الإخفاقات التي عرفها الفكر العربي والإسلامي المعاصر في تحقيق النهضة وتجديد المجتمع لايتأتى فقط من خلال نقد الخطاب النهضوي الحداثي والخطاب السلفي فحسب ، من حيث الطريقة التي طرحا بها إشكالية النهضة (برهان غليون) ، ولا من خلال نقد مضمون هذا الخطاب والمادة التي أنتجها من خلال إعمال ذلك المنهج ، ولامن خلال نقد الآليات المعرفية التي استخدمها والوقوف على بنية العقل المكون لتلك المضامين (الجابري) ، ولكن من خلال الكشف عن أسباب فشل نظام المعرفة الذي صاغه الفكر النهضوي/ الحداثي/ السلفي في تجديد نظام للثقافة بشكل يتجاوز نظيره الذي صيغ في عصر الانحطاط ، ونفترض أن المشكلة تتجاوز

هذا المستوى من غياب فاعلية الأفكار ونظام المعارف على المستوى الاجتماعي ، كي تشمل الجانب الفردي ، أي عند المفكر نفسه ، حيث نجد مظاهر كثيرة تؤشر على وجود قطيعة بين نظام المعرفة ونظام الثقافة عند النخبة من المفكرين و«المثقفين» . باختصار ، إن « تحديث العقل» كدعوى رفعتها بعض الاتجاهات النهضوية لم تثمر «تحديث الثقافة» وهذا ما تشهد به القطيعة بين النخبة الثقافية المتغربة وبين واقعها الاجتماعي والثقافي ، وغياب استيعابها للظرفية التاريخية والابستيمولوجية التي أنتجت « المعارف الغربية» التي يراد من خلالها تحديث الفكر والمجتمع ، وهذا ما يفسر لماذا تحولت كثير من النظم المعرفية العالمية أو «الكونية» إلى عوائق تؤثر سلبا على الأنماط الثقافية المحلية ، وتحدث سببا إضافيا يمنع من تجديدها وتفعيل العلاقة بين نظام المعرفة القرآنية وبين نظام الثقافة في المجتمعات الإسلامية .

وفي المقابل فإن مشروعا مثل مشروع المعهد العالمي للفكر الإسلامي الذي يطرح قضية «إسلامية المعرفة» ما يزال مراوحا لمكانه ، خصوصا على مستوى الانخراط الحقيقي في تجديد النسق المعرفي الإسلامي ، وتبعا لذلك ما يزال بعيدا عن الانخراط الفعلي في إعادة بناء نظام الثقافة . إننا نرى أن أطروحة المعهد العالمي للفكر الإسلامي لم تنتبه بعد بما يكفي لقضية التفعيل الاجتماعي للمعرفة الإسلامية ، أي أنها لم تول ما يكفي من الاهتمام لمسألة إسلامية الثقافة .

*****